

الفصل الثاني

سعد زغلول ومدرسة الحقوق

- اهتمام سعد بالمدرسة خلال رئاسته لنظارة المعارف .
- محاولات سعد اعتبار اللغة العربية لغة التدريس بالمدرسة وتعيين مدرسين مصريين بها.
- موقف سعد من الطلاب المنتمين للحزب الوطني.

الفصل الثاني

"سعد زغول والمدرسة"

اهتم سعد زغول خلال رئاسته لنظارة المعارف التي استمرت حوالي اربع سنوات (اكتوبر ١٩٠٦ - فبراير ١٩١٠) بمدرسة الحقوق^(١) فقدم إلى مجلس الشورى مشروعاً بتعديل مواد الدراسة فيها، ووافق عليه المجلس في ١٧ نوفمبر ١٩٠٩. مما اباح دخول امتحانات المدرسة لجميع الطلاب سواء اكانوا ممن تلقوا دروسهم في المدرسة أم من المنتسبين من الخارج.^(٢)

ولما كان موضوع تعريب التعليم من المسائل المثارة بشدة بين صفوف الوطنيين والذي تصارعت فيه القوى الوطنية مع سلطات الاحتلال خاصة وأنه قد ظهر بين المصريين من تمرس على دراسة القانون ويتسم بالكفاءة لشغل هذا العمل^(٣) فقد صرح سعد زغول أمام المجلس بأنه شرع في تعيين مدرسين مصريين للعمل بالمدرسة على أن يقوم بعضهم بالتدريس باللغة العربية.^(٤) ولما تمكك المستشار القضائي بتفضيل تعيين احد الأجانب في احدى الوظائف الخالية بالمدرسة اعترض سعد زغول على ذلك بحجه أن المدرسة تابعة لنظارة المعارف^(٥) وليس لنظارة الحفانية، وأنه اعرف بمواطنيه من المستشار القضائي لانه اشترك في هذا العمل مع بعضهم، وسمع البعض الآخر يترافع امامه^(٦)، وقام سعد بترشيح على ابو الفتوح وكيل النائب العمومي بمحكمة الاستئناف للانتداب في هذه الوظيفة، ولكن نظارة الحفانية اعترضت على نديه بحجة ان انتداب رجال المحاكم للتدريس مضر باعمالهم في هذه المحاكم^(٧)

^(١) من المعروف ان سعدا درس الحقوق في جامعة باريس بتشجيع من الاميرة لازلي فاضل.
^(٢) انظر الملحق رقم (٦) وانظر ايضا: دار الوثائق: محافظ عابدين قرار رقم ١٤٤٤ بشأن الترخيص للطلبة الخارجين عن مدرسة الحقوق الخديوية بتأدية امتحان آخر العام.
^(٣) ذكر سعد زغول من هؤلاء على ابو الفتوح وكيل النائب العمومي بمحكمة الاستئناف، انظر مذكرات سعد زغول، ج٢، ص ٦٤٣.
^(٤) محاضر مجلس شوري القوانين ١٩٠٩ - ١٩١٠ محضر جلسة ١٧ نوفمبر ١٩٠٩ ومذكرات سعد زغول، ج١، ص ٥٢٨.
^(٥) ظلت المدرسة تابعة لنظارة المعارف حتى عام ١٩١٢ حيث انتقلت تبعيتها إلى الحفانية، وفي عام ١٩٢٣ اعيدت إلى المعارف.
^(٦) من المعروف ان سعدا عمل بالمحاماه في الفترة من فبراير ١٨٨٤ وحتى يونيو ١٨٩٢ كما عمل بالقضاء قبل ان يحصل على ليسانس الحقوق نظرا لان العمل بالمحاکم في ذلك الوقت لم يكن يتطلب مهلا قانونيا بقدر ما يعتمد على البلاغة، وحسن اللغة.
- عبد الخالق لاشين: سعد زغول ودوره في السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤، ج١ القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠، ص ١٣٣.
^(٧) مذكرات سعد زغول، ج٢، ص ٦٤٣ - ٦٤٤

ونتيجة للعوائق التي وضعت لتعيين اساتذة وطنيين في هذه المدرسة طالب سعد بابداء العلة في ذلك^(١) وكان رد جورست ان العربية لاتصلح لتدريس علم الحقوق^(٢)، كما انه لا يوجد اساتذة اكفاء من المصريين يصلحون لتدريس هذا العلم.

ولما كان عدم وجود مؤلفات رصينة في القانون باللغة العربية يعوق فكرة التدريس بهذه اللغة في مدرسة الحقوق فقد اقترح سعد ترجمة امهات الكتب في القانون إلى اللغة العربية حتى يمكن التدريس بهذه اللغة والاستغناء عن المعلمين الأوربيين وللوصول إلى هذه الغاية رأى سعد انشاء قلم للترجمة بنظارة المعارف، او تخصيص مكافأة مالية لكل من يترجم كتابا من هذه الامهات^(٣) ولكن هذا الاقتراح لم يلق تجاوبا من دنلوب، ولا من بطرس غالي رئيس النظار مما جعل سعد زغول يؤكد على ان اللغة العربية مثل غيرها من اللغات، وان التحقيقات في القضايا امام المحاكم الاهلية تتم باللغة العربية^(٤)

والواقع ان التدريس باللغة العربية بالمدرسة كان له ما يبرره خاصة وان استعمال اللغة القومية تيسر للطالب فهم دقائق يصعب على اى لغة اخرى التعبير عنها، وان اللغة العربية كانت لغة القضاء والمحاماة في المحاكم الاهلية، وانه طامنا ان حياة طالب الحقوق بعد تخرجه سيقضيها في المحاكم التي لا تستخدم الا لغته، فان الاصرار على التدريس في مدرسة الحقوق باللغة الاجنبية يعنى محاولة طمس الثقافة القومية.

يضاف إلى ذلك انه إذا كان هناك مبررا للتدريس في المدرسة باللغة الفرنسية بحجة ان القانون المصري مأخوذ عن الفرنسي، فانه بعد استبدال اللغة الفرنسية بالانجليزية التي يختلف عنها القانون المصري تماما فانه كان من المنطقي استبدال لغة الدراسة بالعربية خاصة وانها لغة اهل البلاد القومية، كما ان المصطلحات القانونية في الفقه مأخوذة من الشريعة الاسلامية، وان الفقه الاسمي لا يفي في احكام الصياغة ولا في متانة الاسلوب عن الفقه الرماني.

وعلى اى حال فقد عمل سعد زغول على تشجيع الوطنيين الأكفاء لشغل وظائف التدريس بالمدرسة فقام بتعيين بعضهم بصفة مساعدين^(٥) كما ارسل اربعة منهم إلى اوربا للدراسة^(٦)

(١) نفسه، ص ٦٦١.

(٢) مذكرات سعد زغول، ج ٣، ص ١١٤٩.

(٣) مذكرات سعد زغول، ج ٢، ص ٩٧٢-٩٧٣.

(٤) مذكرات سعد زغول، ج ٣، ص ١١٦٢.

(٥) نفسه، ص ١٣٠٠.

(٦) مذكرات سعد زغول، ج ٢، ص ١٠١٥، ج ٣، ص ١٢٦٦.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان لسعد مواقف أخرى فينتقد الدكتور عبد الخالق لاشين موقف سعد من رفضه تعيين المدرس المصري مراد سيد احمد بمدرسة الحقوق بحجة ميولته للحزب الوطني الذي كانت المدرسة بمثابة خلية له، ولرفضه العمل عنده كسكرتير كما ينتقده في موضوع اعتراضه على استبدال ناظر المدرسة الانجليزى المستر "هل" بوطنى يمكنه ان يدير المدرسة^(١).

وبرجوعنا إلى مذكرات سعد زغلول التى استند عليها الدكتور لاشين يتضح حقيقة ما ذكره د. لاشين في ان سعدا اعترض على تعيين مراد سيد احمد لانه رفض العمل عنده في وظيفه سكرتير، ولكن بالنسبة لكونه من الحزب الوطنى فان سعدا لم يذكر ذلك صراحة بل أوضح ان المذكور كان في مقدمة المتهورين، وانه كان مغرورا جدا، ويعلن عن نفسه كثيرا، وانه لكون مدرسة الحقوق كانت وسطا هاتجا سريع التأثير والانفعال، فانه خشى ان يكون في تعيين هذا المدرس ما يزيد من توتر الموقف ومن هنا فضل احد المدرسين الفرنسيين لشغل هذه الوظيفة^(٢) ومعنى ذلك ان سعدا رغم تشجيعه لتولى المصريين وظائف هيئة التدريس بالمدرسة فانه كان يحاول اختيار الاكفأ والذي لايتعارض تعيينه ومصلحة المدرسة.

وبالنسبة لاعتراض سعد على تعيين ناظر وطنى للمدرسة بدلا من المستر "هل" الانجليزى فالحقيقة انه اثناء انعقاد مجلس النظار بقصر عابدين في ٢٤ ديسمبر ١٩٠٨ عرضت فكره استبدال "هل" بسواه من المصريين ممن يمكنه ان يدير المدرسة بحيث لا يكون للنظار الانجليزى كلمة بجانبه وكان رد سعد على ذلك ان المسألة صعبة للغاية خاصة وان هذا الوطنى الذى يجعل الاجنبى صفرا بجانبه يلزم ان يكون قويا فى فنه ذا سلطة روحية فيه، وان يكون حسن الإدارة جدا حتى تكون له هيبة فى نفوس الطلبة، ونفوذ بينهم، ولا أرى وطنيا جامعا لهذه الصفات الآن.... والرأى عندى إذا كان من الممكن التنبير ان يستبدل "هل" بانجليزى من اهل الفن كـ "ايمس" فأتى اعرب ان له منزلة فى قلوب الطلبة، ومعرفة بفنه، وشهامه فى نفسه فبواسطة نفوذه فى الطلبة يؤثر على اخلاقهم وافكارهم وبواسطة كونه من اهل الفن يسعى لاستبدال الضعيف من المدرسين، ويكون ما يعرضه مسموعا مقبولا^(٣) ومعنى ذلك ان سعدا كان يبحث عن العلاج الشافى الذى ينطبق مع ظروف المدرسة، وليس لتعيين اى وطنى يكون غير قادر على ادارة المدرسة مما يترتب عليه عواقب غير مأمونة يمكن ان تسيى إلى سمعة المصريين.

(١) لاشين: المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٢) مذكرات سعد زغلول، ج١، ص ٥٢٩.

(٣) مذكرات سعد زغلول، ج٢، ص ٨٣٠ - ٨٣١.

وبعد ان كثرت شكاوى المسؤولين من اثاره طلاب الحقوق للطلاب الآخرين، ودعوتهم المستمرة للاضراب فقد استدعى سعد بعض الطلاب من ذوى التأثير على زملائهم امثال شفيق منصور^(١) ومصطفى الشوربجي^(٢)، وامين الرافعى^(٣) وغيرهم والقى عليهم الكثير من النصائح مطالبا اياهم بالاهتمام بدروسهم، وتقوية كفاءتهم حتى يستطيعون خدمة بلادهم خاصة وان الكلام فى السياسة لا يكون الامم، وانما تتكون الامم بالاخلاق الفاضلة، والمعلومات الكافية لسد حاجتها، كما اوضح لهم انه يعمل لصالحهم وصالح الوطن، وانه قدم لمدرسة الحقوق المساعدات التى ازلت الكثير من اسباب الشكوى.

كما دافع عنها دفاعا كريما فى كثير من المواضيع لتتشارك مع الحكومة فى تقرير المنظمات، ووضع القوانين، وحذرهم من عواقب قيامهم بالمظاهرات خاصة وان نصوص القوانين تمنع الطلاب من الاشتراك فى المظاهرات والاشتغال بالجراند وان كل من يفعل ذلك يتعرض للعقوبة، وانه اذا تخلى عنهم فلا يكون لهم نصيرا. وفى اعقاب ذلك اللقاء تعهد الطلاب امام سعد زغلول بالاهتمام بدروسهم وترك السياسة جانبا.^(٤)

وفى الرابع عشر من ديسمبر ١٩٠٨ زار سعد زغلول مدرسة الحقوق واعرب عن سروره من سلوك طلبتها فى الفترة الاخيرة، ونصحهم بالاشتغال بدروسهم وعدم الاشتغال بغيرها.^(٥) كما عمل على مهاده العناصر المعتدلة من الطلبة والعمل على ضمهم الى جانبه فى ضرب العناصر المتطرفة تلميحا لخطر انتشار افكارهم بين عموم الطلاب.

وقد ابدى بعض الطلاب استحسناتهم لادامه التى كان له اوقع الاثر فى نفوسهم ورفض البعض الآخر هذا المنطق من سعد واستمروا فى نضالهم من اجل استقلال بلادهم. فاستمرت المظاهرات وكثرت هتافات الطلبة فى كل مناسبة للمناداة بالحرية والاستقلال والدستور مما جعل سعد يهدد كل من يخل بالنظام ليس يتطرد من المدرسة بحسب بل باغلاق المدرسة اذا قام طلابها بالعصيان.^(٦)

(١) اتهم فى قضية اغتيال بطرس غالى، ومع ان التهمة لم تثبت عليه فقد فصل من المدرسة، وارسله والده للدراسة فى اوربا، وعاد الى مصر فى عام ١٩١٤ وعندما قامت الحرب العالمية الاولى نفقه السلطة العسكرية الانجليزية الى مالطة، وعاد الى مصر فى اوائل ١٩١٩ وانضم الى حزب الوفد، واتهم بالاشتراك فى مقتل السيرلنى ستاك واعدم.

(٢) كان عضوا بارزا فى الحزب الوطنى، واعتقل اثناء الحرب العالمية الاولى، وعاد الى مصر بعد انتهاء الحرب، وافتتح مكتبا للمحاماة.

(٣) كان عضوا فى ادارة نادى المدارس العليا، وتولى رئاسة تحرير العلم والشعب، اعتقل اثناء الحرب الاولى، وبعد ان افرج عنه عمل بالمحاماة، كما انضم الى اللجنة المركزية للوفد ولكنه اختلف مع سعد عندما قرر الوفد معارضة لجنة ملتر.

(٤) مذكرات سعد زغلول، ج ٢، ص ٧٧٠-٧٧٤.

(٥) نفسه، ص ٨١٦.

(٦) ابو الاسعاد: المرجع السابق، ص ٢٤٨-٢٥١.